أن تقوم فيما بينها أية صلة. وكانت جميعها، تعرف من الحسين وجهه الثائر، لا نصفه المساوم.

وفي وقت متأخر، زعم تقرير لجنة بيل الملكية عام ١٩٣٧، أن الشريف حسين، حين أعلن الحرب على الأتراك في حزيران (يونيو) ١٩١٦ «كان يجهل وجود أي عهد آخر خلاف عهد مكماهون»(٣٠). وفضحت مذكرات الملك عبد الله، زيف هذا الادعاء، عندما قال: «وبينما كنا بـ 'العيص' عام ١٩١٦،واذا بي أبلغ أن السير سايكس، والمسيو بيكو، قد وصلا 'الوجه'، واستصحبا معهما الأمير فيصل الى جدة، لمقابلة جلالة الملك»(٣١). وبعد أن استوضح عن الاجتماع برقياً جاءه الرد أنهم «أتو وتحدثوا عن سوريا والعراق ومستقبلهما، فأجبناهم بما ألهمنا الله اياه»(٣٢).

وللمزيد من توكيد معرفة الحسين واطلاعه على اتفاقية سايكس ــ بيكو، فان جمال باشا، قائد الجيش التركي الرابع، تلقف ما نشرته ثورة أكتوبر الاشتراكية من نصوص الاتفاقية، وامر «كل الصحف في سوريا أن تنشر النص كاملاً»، بعد أن نقلته المانشستر غارديان، وأرسل «نسخاً منها الى المدينة المنورة ومنها هربت الى مكة»(٣٣). فيكون الحسين قد اطلع على الاتفاقية مرتين، ولم يحدد أي موقف علني مضاد لها، رغم أنها تتعارض كلياً مع الدولة العربية في مراسلاته مع مكماهون.

ولكثرة ما أثير من ملابسات، حول مراسلات الحسين ــ مكماهون، فان تقرير لجنة بيل، اشتمل على نص رسالة الحسين (١٤ تموز/يوليو ١٩١٥)، اذ قال فيها:

«يجب أن تعترف انكلترا باستقلال البلاد العربية التي يحدها شمالاً مرسين وأضنه حتى الدرجة ٣٧ من خط العرض، الذي يقع عليه بيره جك وأورفه وماردين ومديان وجزيرة أمادية حتى حدود فارس. وشرقاً حدود فارس حتى خليج البصرة. وجنوباً المحيط الهندي، يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي. وغرباً البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى مرسين»(٣٤).

وتضمنت الرسالة الجوابية لهنري مكماهون، المندوب السامي البريطاني في مصر، والمؤرخة بـ ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٥، على الاعتراضات التالية:

«سنجقي مرسين والاسكندرونة، وبعض الأقسام السورية الواقعة في غربي سناجق دمشق وحمص وحماة وحلب، لا يمكن أن يقال عنها أنها عربية محضة، ولذلك يجب أن تستثنى من الحدود المقترحة»(٣٥).

«وان انكلترا مستعدة، على أساس التعديلات المشار اليها أعلاه، ان تعترف باستقلال العرب ضمن البلاد المشمولة في الحدود والتخوم التي اقترحها شريف مكة، وان تؤيد ذلك الاستقلال بريطانيا العظمى»(٣٦).

حقاً، لقد ضمن الحسين، في المراسلات، استقلال أقطار آسيا العربية، ومن بينها فلسطين، بصيغة لا تخلو من المداورة. وعلى نمطه نسج مكماهون رسالته في الاستثناءات. ومع ذلك، فالحسين نفسه، كتب في جريدة «القبلة»، مقالاً، اعتبر فيه الاستيطان اليهودي بأنه لا يتعارض مع استقلال العرب، مذكراً عرب فلسطين بـ «أن كتبهم المقدسة وتقاليدهم توصيهم بواجبات الضيافة والتسامح»(٣٧).

بهذه الخطوات المتعاكسة، وبالاعتماد الكلي على البريطانيين، أخذ الحسين يخسر